دكتور
عبدالودود شلبى

قضايا إسلامية معاصرة

الفصل الأول

القرآن يتحدى

الفصل الثانى

عقبات فى طريق الإسلام

الفصل الثالث

جنرالات تركيا
لماذا يكرهون الإسلام

الفصل الرابع

الصنم الذى هوى فى موسكو

مركز الراية للنشر والإعلام

اسم الكتاب	القرآن يتحدى
المؤلف	د. عبدالودود شلبى
تصميم الغلاف والإخراج الفنى	أحمد فكرى
الناشر	مركز الراية للنشر والإعلام
الطبعة	الأولى ٢٠٠٠

كافة حقوق الطبع والنشر والتوزيع هى ملك لمركز الراية
لا يجوز نقلها أو اقتباسها أو تصويرها إلا بإذن كتابى من الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن
يأتوا بمثل هذا القرآن . لا يأتون
بمثله. ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.. ﴾

سورة الإسراء : ٨٨

إلى التـــائهين

فى العالم الإســـلامى

حتى لا تكون فتنـــة ..

ويكون الدين كله لله ..

الفصل الأول

القرآن يتحدى

حوار

بين علامة المسلمين فى الهند

مولانا عبد العليم الصديقى

وبين الكاتب الفيلسوف البريطانى

برنارد شو

(٩)

فى صبيحة الأربعاء ١٧ من إبريل ١٩٣٥ ، جمعت الصدفة الطيبة بين الشيخ عبد العليم الصديقى رحمه الله والكاتب الإيرلندى الشهير جورج برنارد شو . وكان لقاؤهما فى منزل حاكم ممباسا . فدار بينهما هذا الحوار الذى ننشره معرباً عن اللغة الإنجليزية :

شو : يؤسفنى أن ارتباطاً سابقاً قعد بى عن شهود محاضرتك البارحة وقد كنت بالغ الحرص على حضورها . دار حديثك حول فلسفة السلام وقد كان الأجدر بك ما دمت مسلماً لو تحدثت عن فلسفة الحرب لأن الإسلام إنما انتشر بحد السيف . !

الشيخ : هذا سوء فهم شائع للإسلام وقد تناولت تلك المسألة بالبحث فى حديثى البارحة . وإنى لأعجب حقاً كيف يتسنى لأسطورة كهذه ثبت بطلانها وانكشف أن تنال حظاً عند عالم فى مقامك ومهما يكن فدعنى أخبرك أن كلمة (الإسلام) ذاتها مشتقة من (السلام) . وقد حفظ لنا فى القرآن والسنة سجل ثابت لتعاليم الإسلام فى صفائها الفطرى ، وهى تقرر بما لا يدع مجالاً للريب .. إن الإسلام لا يبيح استعمال السيف إلا فى وجه العدوان السافر الذى يلجئه إلى أن يدفع عن نفسه والقرآن يقرر أن (لا إكراه فى الدين) مما يحرم بوضوح استعمال القهر والقسر فى شؤون الدين ، ويجعل الحجة والبرهان هما طريق الدعوة فيقول : (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة) .

والأسلوب الذى يرشد إليه الإسلام فى سبيل نشر دعوته والذى أدى فى الماضى والحاضر إلى أن يتقبله عقلاء الناس وأن يبلغ أرجاء العالم تتضمنه هذه الآية : « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » .

وعلى العكس من ذلك يشهد التاريخ بأن عقيدة اتحاد المسيح والأب إنما أعلنها مجلس « نيس » الذى دعا إليه قسطنطين فى بثيانا فى عام ٣٢٥ بعد الميلاد ومن أجل التمكين للإيمان بألوهية المسيح اتبع سبيلاً مفرطاً فى البشاعة منافياً للإنسانية سفكت فيه دماء الألوف من الأبرياء الذين أنكروا تلك العقيدة . وقد جرى ذلك لا فى أوربا وحدها بل فى بيت المقدس الطاهر . ولكن رغم ذلك لا أرد مغبة هذا كله إلى المسيحية الحقة بل يقع عبء اللوم كله على ممثلى الكنيسة الذين أرادوا أن ينطبع مجدهم وسلطانهم فى قلوب الناس وأن تستقر سلطتهم الدينية .

وكذلك نرى أن الحروب الصليبية الدامية تمخضت عن التدبير الميكافيلى النفعى لفئات من القساوسة حين أدركوا أن دعوة الإسلام الخالصة إلى وحدانية الله تقوم حجر عثرة فى طريقهم وأن سلطتهم الدينية المبتدعة فى خطر من ذلك فشنوا حملة فاجرة فى وجه الإسلام والمسلمين وحرضوا أوربا- وقد كانت غرة فى تلك العصور المظلمة - أن تشن الحروب التى زعموها مقدسة ضد الإسلام والمسلمين وذلك بأن أشاعوا خرافات موغلة فى الوهم من فتك المسلمين بالمسيحيين وتحدثت عن كفر المسلمين وانهم أعداء ألداء للدين والمال والنفس .

وهب أن بعضاً من حكام المسلمين وقبائلهم - بعد عهد طويل من ظهور الإسلام - قد دفعتهم شهوة الفتح إلى الاعتداء وإطلاق دواعى الحرب ابتغاء الكبرياء فى الأرض .. لو سلمنا بذلك جدلاً . فإنه ليس يحق لنا إلا أن ندين أولئك الأفراد على

جرائمهم تلك ، ولا ينال الإسلام شئ من ذلك بالطبع .

شو : لا شك أن المتعصبين فى الكنيسة الرومانية ينالهم نصيب وافر من المسؤولية عن تلك الحوادث الأليمة ، ولا شك أن تعاليم المسيح الصافية لا شأن لها بوقوع ذلك . وقد نقر أيضاً سيادة كثير من ضروب الفهم الواهم للإسلام ، وإنه طالما صور بوجه خاطئ لكن هل توافقك الجماهير المسلمة على تفكيرك ؟ وهل يعتقد هؤلاء أن الإسلام لم يسبق له أن انتشر بالقهر وما ينبغى له ذلك ؟

الشيخ : إن كل مسلم ملزم بالأخذ بهذا القول ، فهو ما يقرره القرآن على وجه التحقيق ، ولا دخل فيه لتصوراتى وآرائى الخاصة ، وقد نشرت فى ذلك كتب كثيرة ، وتناوله باستفاضة جملة من علماء الدين الإسلامى طرقوا سائر جوانبه ومن بينهم السيد أمير على والسيد أحمد خان والعلامة الشبلى ..

شو : لا يغيب عنى أن بين الإسلام والمسيحية تلاقياً ملحوظاً ..

الشيخ : ولا يقتصر ذلك التوافق على الإعراض والأسماء بل إن الإسلام يعلن صراحة أنه ما دام وجود الله هو غاية كل دين ومصدره فإن وحدة حقيقة الأديان أمر محتوم لقد ساد تصور الإسلام على أنه دين جديد ، مع أن القرآن نفسه يعلن أن دعوته الدينية ليست إلا ذات الدعوة التى دعا إليها الرسل السابقون من إبراهيم إلى عيسى ، صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً . فقد بعثهم الله جميعاً لينشروا نفس المبادئ وما كانت بعثة خاتم الرسل إلا لأن الرسالات السابقة قد بدلت وامتد إلى جوهرها الفساد ودخل فى أصولها الوضع فجاء الرسول مصدقاً لما بين يديه ومعززاً ومكملاً لتلك الرسالات الخالدة وقد أشار القرآن

إلى ذلك إشارة جلية حيث قال : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) .

شو : إن تراجم القرآن التى اطلعت عليها تصدق كل ما جاء فى حديثك وتروق لى كثيراً من بين هذه التراجم واحدة تنهج فى ترتيب السور منهجاً مستقلاً وقد كانت تلك الترجمة لا تكاد تفارقنى أبداً إبان رحلتى فى المغرب والجزائر وكانت إشاراتى العابرة لمضمونها مبعث كثير من المتعة والانشراح لمسلمى تلك البلاد . وقد أوصيت بعض الناشرين بنشر تلك الترجمة على نطاق واسع .

الشيخ : لعلك تشير إلى ترجمة المستر رودهل ..

شو : نعم .

الشيخ : لا ريب أن المستر رودهل قد بذل كل طاقته واستنفد جهده فى ترجمة سور القرآن حسب ترتيبها الزمنى . لكن بضاعته من الأدب العربى والتاريخ الإسلامى لم تكن من اتساع الساحة وبعد الغور بما يجنبه الخطل . فجاء كثير من عباراته مجانباً للقصد ممعناً فى الوهم . ولا أرد ذلك بالطبع إلى سوء النية بل لما ذكرت من قصور معرفته .

وأود أن أقترح عليك - فى هذا الصدد - ترجمة معانى القرآن للمستر بكتهول وإنى واثق أن الإطلاع عليها سيمكنك من تذوق جمال القرآن الرائع وحكمته النافذة وتلمس أسلوبه فى سوق الكلام وطيب وقعه فى النفوس . ولا أقول لك أنك واجد فى تلك الترجمة صورة صادقة للأصل فجدير بكاتب مرموق مثلك أن يقدر أنه ما يكون لمترجم - مهماً علا كعبه-

كعبه- أن ينقل كتاباتك إلى لغة أخرى دون أن يسلبها كثيراً من الروعة والتوقد .

شو . حقاً أن روح الكلام لا يتسنى أداؤها عند ترجمته للغة أخرى و لم تنج من ذلك تراجم الإنجيل ولكنها قد بلغت شأواً بعيداً نحو الكمال وما تنفك الجهود مبذولة لتحسينها .

الشيخ : مهما بلغت تراجم الإنجيل من مراتب الكمال من حيث الأداء اللغوى فلا سبيل للجزم بأنها تحتوى على الرسالة المسيحية الحقة . أو أنها روايات صادقة لإرشادات المسيح ولا يخفى عليك أن رسالة المسيح فى صفائها المنقى وكما بلغها بنفسه لم يبق لها أثر . وقد أدت التراجم المتتالية للإنجيل مع ضياع أصله الأول إلى تخليط مسرف لا يجد الباحث عن الحقيقة فى حياضه ما يشفى ظمأ ، بينما حفظ القرآن بوجه لم يحدث معه أدنى تبديل فى أصغر حرف أو شكل - ويبدو - لذلك - أن الراغب فى تعرف المسيحية الحقة لا يجدها إلا بالنظر فى القرآن.

شو : هل سلم القرآن حقاً من كل تغيير ؟ وهل وصل إلينا قطعاً فى صورته الأولى ؟ أكان محمد يعرف الكتابة ؟ وهل بقى شئ من خط يده ؟

الشيخ : إن لدينا سجلاً لا يعتريه نقص ولا يتطرق إليه شك بكل سورة بل كل آية وكلمة وردت فى القرآن . وقد كان للرسول كتاب اتخذهم لتسجيل القرآن . وكانت سنته حالما يوحى إليه بآية أو أكثر أن يبعث إلى هؤلاء ويملى عليهم ما نزل عليه ثم يستقرئهم ما كتبوا حتى يسمعه ويستوثق منه وبعدئذ يشرح لهم معانيه

وبين أيدينا وثائق بخط زيد بن ثابت - أوثق كتاب القرآن وأجلهم - محفوظة بأكملها في مستودعات الوثائق بالقسطنطينية ومكة . وتتفق مع هذا الأصل الثابت كل طبعات القرآن في العالم فلا تجد في نسخ القرآن من تفاوت ولا أدنى نقطة أو حرف أو علامة وقف .

شو : ماذا ؟ أتزعم أن في نصوص القرآن علامات للوقف ؟

الشيخ : بلى . لكن لا كما نعهد من علامات الوقف المختلفة في اللغة الإنجليزية ففي القرآن مثلاً مواضع للوقف اللازم أو الجائز ويجهر بأواخر الكلمات أو يخفت بها في موضع دون آخر وهلم جرا . وتفاصيل التجويد والوقف من الدقة والعسر بما أصبحت معه تلاوة القرآن فناً متميزاً ، وكم ألفت من جلائل الكتب في مباحث علم التجويد ورواية ما جرت به القراءات.

شو : إن هذا جله غريب علي ، بل هو حقاً من دواعي دهشتي ، وقد علمت كذلك أنك ألقيت حديثاً حول الإسلام والعلم في " نيروبي " ولا أتصور كيف يمكنك أن تعرض صورة الجنة والنار الواردة في القرآن بأسلوب مقنع على المطلعين على العلوم الحديثة ممن تأنف عقولهم أن تقر شيئاً لم يقم عليه دليل مادي محسوس .

وإني لأنطوي على تقدير عظيم لنبي العرب . وأدرك أنه قد كفكف من غلواء تلك الأمة الضاربة في وهاد الجهالة والتحلل وأنه صدهم عن ارتكاب أفحش الجرائم ، وبعث فيهم الحمية للمجاهدة في الحق ، وتلقى مكارم الفضائل والأخلاق. وما كان له أن يفعل ذلك بغير أن يصور لهم ناراً حامية رهيبة تفزع منها القلوب تقابلها جنة رخية مغرية تفيض فيها أنهار

اللبن والعسل

وقد أعجبت كذلك بأسلوب القرآن وشدة تأثيره . فما أروع تلك الآية التى تصور مشهد القيامة المرعب ، وما أبدع الآية التى تعالج مسألة الوأد وتنتهى إلى سؤال مثير للطفل - الذى قبر حياً أو قتل عمداً : " بأى ذنب قتلت " . إن ذلك عندى لأبلغ مسلك للتأثير على الناس .

ولعلى بذلك أمعنت فى شجون الحديث فالذى أحرص على معرفته هو كيفية شرح مسألة الجنة والنار فى ضوء من البيان العلمى .

الشيخ : إنك لا ريب ضليع فى فن الكتابة ، وإن الأسلوب الطريف الأخاذ الذى يجرى به قلمك الساحر يحدث ثورة فى ألباب القراء ، ولكنى واثق من موافقتك على أن لغتنا المادية لا تصلح أداة للتعبير المضبوط عن ماهية الحقائق الغيبية ومعنى الظواهر الروحية دون اللجوء للتشبيه والمجاز وتقريب المعنى بالاشتباه والنظائر .

وذلك أمر لابد من الانتباه إليه حتى نجعل اعتباراً لوسائل التعبير فى تفهم وصف الجنة والنار فى القرآن ، وإذا كانت العقول تنصرف بتلك التشبيهات إلى مجرد البشرى بالمتاع الحسن فإن القرآن يدعونا بجلاء ألا نفرط فى استقراء الطبيعة الحقيقية لنعيم الجنة : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وقد جاء الحديث بأنه لا ينبغى أن نتوهم الجنة والنار من مثل ما نعهده فى الدنيا : (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) فكيف يليق مع هذا البيان أن ندعى لنعيم الجنة أدنى شبه بما يطيب لنا ونسعد به فى أمور الدنيا ؟

بل إن حقيقة الأمر على عكس ذلك ، وإذا كان إتباع سنن الكون الطبيعى يؤدى بنا تلقائياً إلى رفاهية وتقدم مادى يناسب مبلغ علمنا وعملنا بتلك السنن ، فكذلك بقدر إخلاصنا وتمسكنا بالقواعد الخلقية والروحية ومدى تحقيقها فى واقع حياتنا تبلغ درجات فى السعادة والنعيم الروحى ويعود علينا خرقها بالعذاب الروحى والشقاء المقيم .

وإذا تأملنا قانون التطور ألفينا كل شئ فى تقدم ذائب ، ولكنه حتماً منته إلى غاية مطلقة لا مجال بعدها للتقدم . وهذا نفسه يسرى على ما يعترونا من تجارب الراحة والنعيم والألم والشقاء فهى حالات لابد أن تكون لها غايات قصوى . وما الجنة إلا تلك الغاية القصوى للنعمى والسعد ، وما النار إلا المبلغ الأخير للحسرة والألم .

وإذا كنا نألف من بين الأوساط المادية ما يهيئ السعادة أو يجلب الشقاء فى هذا العالم فلا غرو أن توجد فى الدار الآخرة أوساط معينة تولد السعادة فى النفس أو تثير فيها الألم والشقاء. وقد استعيرت صورة كلامية لتنقل لأفهامنا نعيم الجنة، كما ضرب مثل ملئ بالرعب والهول رمزاً للنار .

أما الدار الآخرة التى تدعوها رحبة أو سماوية فإنها تختلف عن عالم المادة ، لكن ذلك لا يعنى أنها تقتصر على الروح المجرد الذى لا يمت بصلة للمادة أو أن الأرواح تسرح فيها طليقة من عنصر المادة .

وما دام الإنسان – روحاً وجسماً – مسؤولاً عن أعماله ومحاسباً عليها ، فإن روحه يوم البعث ستقترن بجوهر فى الجسد ويشتركان على ما تقتضيه ظروف الدار الآخرة من صنوف

السعادة أو الشقاء .

يبقى علينا أن نعرف المادة ، وذلك فيما تعلم أمر غير ميسور برغم ما بلغنا من مراتب الرقى العلمى فإن ماهية المادة طلسم لم تفض بسره بعد محاولات أرجح العقول ، و لم يفلح فى تحليلها علم الكيمياء ، بل قد أعيا أكابر العلماء أن يهتدوا لمجرد تصور كنهها . وأن غاية البحث العلمى إلى يومنا هذا إنما تنتهى إلى النظرية الموضوعة للبروتونات والإلكترونات والتى تزعم أن موجات الإشعاع التى تحدثها هذه العناصر هى أساس الوجود الكونى وأن كل الأجسام الطبيعية الصلبة إنما هى أثر لتلك الإشعاعات .

وهذا مثلاً ما تقوله عن المادة مجلة (كون العجائب) :

« تبدو لنا المادة فى غاية الصلابة لكن رجالات العلم يحدثوننا أنه لو انتفى الفراغ الكامن فى الذرات التى يقوم عليها بناء الجسد ثم ركزت النوويات والإلكترونات الذرية فى كتلة جسمية ، فإن ما يحصل لنا من جسد الشخص السوى سيكون من فرط صغره غير مرئى للعين المجردة » .

فإذا جاز للعالم أن يقبل دون برهان محكم أن دورات الإلكترون السابحة حول نواتها تناهز بضعة آلاف من ملايين كل ثانية وأن أمواج إشعاعها هى قاعدة الأجسام الطبيعية الصلبة وما دام ذلك فلا ينبغى أن يتعسر على العالم تصور الجسم والروح فى هيئة - ما - تتوافق مع أنواع السعادة والشقاء التى تنتظرنا فى عالم الغيب . وربما صح الزعم بأن فى تجاربنا الغريبة - التى ندعوها أحلاماً - انعكاساً باهتاً لتلك الأحوال الغيبية .

شو : إن هذا حقاً لإيضاح شاف بليغ جميل . لكن هل يرتضيه سائر المسلمين فى العصر الحاضر ؟

الشيخ : ليس هذا الوصف مما طبخه ذهنى فهو - كما قدمت - مبسوط فى القرآن . ولا أدعى لنفسى فضلاً حتى فى طريقة عرضه فإن أسلافى الأئمة العظماء كفخر الدين الرازى والغزالى قد سلكوا هذا المنهج فى خطاب الفلاسفة النابهين من أمثالك. ولو جاز لى أداء قولى هذا بتعبير شرقى فما أنا إلا قاطف فتاتاً من مآدبهم العامرة .

إن كل تعاليم الإسلام مما تدركه الأفهام وتعيه ، وليس فيها مجال للخفايا ومبهمات الفكر وحسبها أن تشرح وتكشف على ضوء من البيان من شأنه أن يجلى مدلولها الصحيح إذ لا مناص لتفهم المصنفات فى أى فن من الفنون من أن يكون لنا فيه طول باع ولزام علينا أن نستوعب مسائله ونحصل منه معرفة وثيقة نفقه بها قضاياه الشائكة .

(ودخلت عندئذ المضيفة تذكر شو بأن الوقت قد أزف للرحيل) .

شو : إن الحديث إليك فى غاية المتعة والفائدة ، ووددت لو أنى حظيت بصحبتك أعواماً ولكنى الآن مضطر لمغادرتك لسوء الحظ .

الشيخ : وأحرص أنا كذلك على الفائدة المرجوة من تبادل الآراء مع حبر مثلك ذى حظ وافر من العلم والثقافة لاسيما وقد قلت فى الإسلام قولة فيها كثير من البشرى واليقين وإن كانت لا تصدر إلا عن معرفة . ذلك هو قولك : « سيكون الإسلام دين المستقبل للمتعلمين والمثقفين والمستنيرين من الناس »

وقد كان مرامى من الحديث إليك حول الفلسفة العميقة والحقائق النفسية الواردة فى القرآن إن أمكن عالماً مثلك . بما وهبت من العبقرية وبما أوتيت من الإلمام بأذواق العالم المتحضر وباتجاهاته العقلية أن يعرض تعاليم الإسلام بطريقة لائقة ذات وقع على النفوس .

شو : يؤسفنى حقاً ألا يتيسر لى إلا هذا الوقت القصير فى خطاب حكيم عالم مثلك .

الشيخ : لكنى - من جانبى - ممنون لهذه الفرصة العابرة وأنتهزها لأقدم إليك نص المحاضرتين اللتين ألقيتهما قبل أيام حول " الدين والنهضة العلمية فى العالم " و " ثقافة الإسلام الروحية " وأهدى إليك أيضاً هذه الرسالة عن الإسلام وهى من تأليف صديقى إلياس برنى أستاذ الاقتصاد بالجامعة العثمانية بحيدر آباد وقد جمع فيها آيات من القرآن صنفها على أبواب مختلفة وعززها بحواش من الشرح وأرجو أن تطلع عليها وتظل على صلة بى فى كل ما يخطر من المسائل مما يتصل بالإسلام .

وسأبذل جهدى فى زيادة الإيضاح وأرد على ما قد توجهه من نقد كل ذلك تحت ضوء الهدى الإسلامى .

شو : لا ريب أن لك أسلوباً أخاذاً فى عرض تعاليم الإسلام - لكن هل يوافقك على ذلك أهل الإسلام التقليديون ؟

الشيخ : دعنى أصارحك بأنى نفسى شديد التمسك بالتراث التقليدى . وأعد نفسى فى الذين ينكرون كل تبديل فى تعاليم الإسلام . ويمثل نصب عينى دائماً الحديث الشريف :- « من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » بل إنى ممن يلتزمون بأقل إرشادات الإسلام خطراً فكيف بقواعده الأساسية .